السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٣٩)

رَغْبَةٌ نَبَوِيَّةٌ وَ زَوَاجٌ مُبَارَكٌ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2005 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

بَعْضُ الغَزَوَاتِ والسَّرَايَا

وَفي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجرَةِ حَدَثَتْ بَعْضُ الغَزَوَاتِ ، وَبَعْضُ السَّرَايا ، مِنْهَا :

ـ غَزْوَةُ وَدَّانَ : حَيْثُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثُلَّةٌ مَنَ المُهَاجِرِيْنَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْطقَةَ الأَبْواءِ ، وَكَانَ الهَدَفُ مِنْ هَذِهِ الغَزْوَةِ أَنْ يَعْتَرِضَ عِيْراً لِقُرَيْشٍ .

وَكَانَتِ النَّتِيْجَةُ أَنْ صَالَحُوه دُوْنَ أيِّ قِتَالٍ .

ـ ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ بُوَاط ، وَكَانَ سَبَبُ

الخُرُوج أَيْضاً اعْتِرَاضَ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ يَتَزَعَّمُهَا أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ .

وَلَمَّا لَمْ يَلْقَ الرَّسُولُ ﷺ مُقَاوَمَةً... ، رَجَعَ إِلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ دُوْنَ قِتَالٍ ، وَلا حُرُوبٍ .

ـ ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ العُشَيْرَةِ : حَيْثُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في مِئَتَيْنِ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ مِمَّنِ انْتَدَبَ.. وَلَمْ يُكْرِهْ أَحَداً علىٰ الخُرُوجِ ، وَكَانَ الهَدَفُ أَيْضاً اعْتِرَاضَ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ لأَهْلِ مَكَّةَ ، قَادِمَةٍ مِنْ بِلادِ الشَّامِ .

وَلَكِنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ وَصَلُوا مُتَأَخِّرِيْنَ ، فَلَمْ يَحْدُثْ قِتَالٌ ، إِنَّما كَانَتْ مَعَ بَنِي ضَمْرَةَ مُسَالَمَةٌ ، وَمُوَادَعَةٌ ، وَهَذَا نَصُّ الكِتَابِ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللهِ لِبَنِي ضَمْرة ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ علىٰ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنَّ لَهُمُ النَّصْرُ عَلَىٰ مَنْ رَاقَهُمْ ، إلا أن يُحَارِبُوا في دِيْنِ اللهِ ، مَا بَلَّ بحرٌ صُوْفَةً ، وَإِنَّ النَّبِيَّ إذَا دَعَاهُمْ لِنَصْرِهِ أَجَابُوهُ ، عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذِمَّةُ الله ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَلَهُمُ النَّصْر عَلَى مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ وَاتَّقَىٰ » .

ـ ثُمَّ أَرْسَل ﷺ سَرِيَّةً إلىٰ حَيٍّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، وَفِيه يَقُوْلُ سَعْدُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عَنْهُ... فَبَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ في رَجَبٍ وَلا نَكُونُ مِئة ، وَأَمَرَنا أَنْ نُغِيْر عَلَى حَيٍّ مِنْ بَني كِنَانَةَ إلىٰ جَنْبِ جُهَيْنَةَ ، فَأَغَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا كَثيراً ، فَلَجَأنَا إلىٰ جُهَيْنَةَ ،

فَمَنَعُونَا ، وَقَالُوا : لِمَ تُقَاتِلُونَ في الشَّهْرِ الحَرَامِ ؟

فَقُلْنَا : إِنَّمَا نُقَاتِلُ مِنْ أَخْرَجْنَا مِنَ البَلَدِ الحَرَامِ في الشَّهْرِ الحَرَامِ .

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : مَا تَرَوْنَ ؟

فَقَالَ بَعْضُنَا : نَأْتِي نَبِيَّ الله ﷺ فَنُخْبِرُهُ .

وَقَالَ قَوْمٌ : لا! بَلْ نُقِيْمُ هَاهُنَا .

وَقُلْتُ أَنَا في أُنَاسٍ مَعِي : لا! بَلْ نَأْتِيْ عِيْرَ قُرَيْشٍ ، فَنَقْتَطِعُهَا .

فَانْطَلَقْنَا إلى العِيْرِ ، وَانْطَلَقَ أَصْحَابُنَا إِلىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوْه الخَبَرَ ، فَقَامَ غَضْبَانَ مُحْمَرَّ الوَجْهِ ، فَقَالَ : « أَذَهَبْتُم مِنْ

عِنْدِي جَمِيْعَاً ، وَجِئْتُمْ مُتَفَرِّقِيْنَ ؟ إنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الفُرْقَةَ ، لأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلاً لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ . أَجبركم عَلَىٰ الجُوْعِ ، وَالْعطَشِ » .

* * *

أَوَّلُ أَمِيْرٍ أُمِّرَ فِي الإِسْلامِ

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ الأَسَدِيَّ رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابَاً ، وَأَمَرَهُ ألا يَنْظُرَ فِيْهِ حَتَّىٰ يَسِيْرَ يَوْمَيْنِ ، ولا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدَاً.

فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ ، فَتَحَ الكِتَابَ ، فَنَظَرَ فِيْهِ ، فَإِذَا فِيْهِ : « إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا ، فَامْضِ حَتَّىٰ تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشَاً وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ » .

فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ فِي الكتاب ، قَالَ : سمعاً ، وَطَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لأَصْحَابِهِ : قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَمْضِيَ نَخْلَةَ أَرصُدُ بِهَا قُرَيْشَاً حتَّىٰ آتيهِ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَداً مِنْكُمْ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيْدُ الشَّهَادَةَ ، وَيَرْغَبُ فِيْهَا فَلْيَنْطَلِقْ ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ ، فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لأَمْرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

وَلَمَّا نَزَلُوا بِنَخْلَةَ ، مَرَّت عِيْرٌ لِقُرَيْش تَحْمِلُ تَجَارَةً فِيْهَا عَمْرو بْنُ الحَضْرَمِيُّ ، وغيره ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَاتٌ سَقَطَ مِنْ خِلالِهَا بَعْضُ الشُّهَدَاءِ ، وَعَادَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ مَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُم ، وَمَعَهُم أَسِيْرانِ ، وَبَعْض الغَنَائِمِ .

وَأَنْزَلَ الله تَعالى فِيْهم قَوْلَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة البقرة : ٢١٨ .

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾

وَأَثْنَاء صَلاةِ رسول الله ﷺ باتِّجَاهِ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَذَلِكَ زُهَاءَ سَبْعَةَ عَشَر شَهْراً ، كَانَ يَرْغَبُ أَنْ تَتَحَوَّل القِبْلَةُ إِلى الكَعْبَةِ .

وَذَلِكَ مِنْ بَابِ مُخَالَفَةِ اليَهُوْدِ ، وَمَحَبَّةً في قِبْلَةِ الخَلِيْلِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلامُ .

وَفي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ جَاءَ الأَمْرُ الإِلَهيُّ بِتَحْوِيْلِ القِبْلَةِ .

وَذَلِكَ في قَوْلِ اللهِ تَعَالى وَهُوَ يُخَاطِبُ

النَّبِيَّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١) .

فَأَصْبحَ المُسْلِمُونَ يَتَوَجَّهُونَ في صَلاتِهِمْ إِلىٰ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ فَرْحَتُهُمْ كَبيرةً بِتَحْوِيلِ القِبْلَةِ ، وَتَحْقِيْقِ رَغْبَةِ المُصْطَفَى ﷺ .

وَتَسَاءَلَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَنِ الَّذِيْنَ مَاتُوا وَلَمْ يُصَلُّوا إِلا الىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَكَانَ الرَّدُّ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

زَوَاجٌ مُبَارَكٌ

وفي هَذِهِ السَّنَةِ ـ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَة ـ كَانَ الزَّوَاجُ المَيْمُونُ المُبَارَكُ .

يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : أَرَدْتُ أَنْ أَخْطُبَ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا .

فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ ، وَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أُفْحِمْتُ ـ أَيْ لم يَعُد بِإِمْكانِهِ أَنْ يَتَكَلَّم شَيئاً ـ فَنَظَرَ الرَّسُولُ إليَّ وَسَأَلَنِي : « هَلْ لَكَ مِنْ

شَيْءٍ ؟ » فَسَكَتُّ ، فَقَالَ : « لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطبُ فَاطِمَةَ » .

فَقُلْتُ : نَعْم! فَقَالَ : « وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيءٍ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ ؟ » .

فَقُلْتُ : لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ : « وَأَيْنَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ ؟ » .

فَقُلْتُ : عِنْدِي . فَقَالَ : « قَدْ زَوَّجْتُكَها ، فَابْعَثْ إِلَيْهَا ، فَاسْتَحِلَّهَا بِهَا » .

وَكَانَ جَهَازُ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ الله عَنْهَا بَسِيْطاً : وِسَادَةً مِنْ أدَمٍ حَشْوُهَ لِيْفٌ ، وَكوباً لِلَّبَنِ ، وَمَا يُطْحَنُ بِهِ الشَّعِيْر ، وَجَرَّةً لِلْمَاءِ .

أَمَّا الوَلِيْمَةُ ـ وَلِيْمَةُ العُرْسِ ـ فَكَانَتْ تَمْراً ، وَزَبِيْباً ، وَمَاءً عَذْباً!!

وَأَمَّا أَرْض الحُجْرَةِ فَفُرِشَتْ رَمْلاً! وَعَمَدَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا إلى عُودٍ فَأَدْخَلَتْه في حَائِطِ الحُجْرَة لِيُلْقَىٰ عَلَيْهِ الثَّوْبُ!!

..وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ دُخُولِ الزَّهْرَاءِ عَلى عَلِيٍّ دَعَا رَسُولُ اللهِ لَهُمَا قَائِلاً :

« اللَّهُمَّ أُعِيْذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْم! » وَقَال مِثْلَ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ .

تَقَولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها : فَمَا رَأَيْنَا عُرْسَاً أَحْسَنَ مِنْ عُرْسِ فَاطِمَةَ ، حَيْثُ بَارَكَ الله بِهِمَا ، وَكَانَتْ ذُرِّيَّةُ رَسُولِ اللهﷺ وَسُلالَةُ آلِ بَيْتِهِ مَحْصُوْرَةً بِهِمَا.

كلُّ ذَلِكمَ مِنْ بَرَكَاتِ دُعَاءِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ

الصَّلاةُ والسَّلامُ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيْهِمَا ، وَبَارِكَ عَلَيْهِمَا ، وَبَارِكْ لَهُمَا في نَسْلِهِما! » .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *